خطر يتشح ثياب البراءة

السلوك العدواني للأطفال جينات وراثية أم صفات مكتسبة ؟

الأسرة/ زهور السعيدي

ليس هناك من عوامل أكثر تأثيرا على سلوكيات وطبائع الإنسان طيلة حياته كتلك التي ترافقه في طفولته .. فإذا كانت البيئة التي يعيش فيها المرء سنوات عمره الأولى سليمة ومثالية فانه ينشأ سويا وصالحا لأسرته ومجتمعه ووطنه وإذا كانت غير ذلك فان النتيجة غالبا ما تكون مؤسفة وكارثية .

• تصوير/ عادل حويس

وبحسب الدراسات العلمية وتأكيدات المختصين من ذوي الاختصاص فان السنين الأولى في حياة الطفل هي من تشكل سلوكياته وتوجهاته في المستقبل وان الأكثر خطرا على الأطفال عندما يعيشون في بيئة من الصراعات والمواجهات العنيفة حينها تصبح نسبة أن يكونوا أسوياء في ادني مستوياتها بل أن هؤلاء وبسبب ما يحيط بهم من أحداث العنف والاقتتال يصبحون أكثر جنوحا للسلوك العدواني وتتنامى لديهم نزعات الشر والعدوان بمرور الأعوام ..

" الأسرة " حاولت تسليط الضوء على هذه القضية الهامة وتناولتها من عدة جوانب بما يساهم في توفير الأجواء السليمة لتنشئة الأطفال بصورة سليمة في مجتمعنا ..

معاناة مستمرة

هيفاء محمد دربة منزل لديها 3 بنات وولد ولكنها دوما ما تشكو من طفلها امجد والذي يبلغ من العمر 7سنوات وتقول : اشعر ان طفلي عدواني جدا فدوما يقوم بضرب أخواته اللاتي يكبرنه بسنوات كما انه إذا وجد طفلا فانه يقوم بضربه ودوما يشتكي منه الجيران وكل يوم معنا مشكله بسببه ولا تجده يلعب كالأطفال الآخرين بل يلعب بكل ما هو مؤذي وجارح كالسكين أو المسدسات المختلفة وذات مرة طلبت منه أن يذهب بنفسه إلى المكتبة ويشتري هدية لعيد ميلاد صديقه فإذا به أهداه كرتون العاب فيه مسدس وقنبلة ورصاص ومواد حادة حيث تفاجأ الجميع بهديته والتي تعبر عن عدوانيته والتي حاولت مرارا الخف من حدتها دون فائدة.

أما أمل أمين الفقيه لديها طفل يبلغ من العمر 3 سنوات قالت إن طفلها حسان يظل يبكي طوال الليل دون أن تعرف سبب بكائه وأضافت :ذهبت بطفلي إلى الأطباء وعملت له جميع الفحوصات ظنا مني انه يبكي بسبب مرض أو الم يلم به وإذا بجميع الأطباء يؤكدون بان صحته جيدة ولا يوجد ما يجعله يتألم وبهذا يكون طفلي يبكي فقط نتيجة للعناد فقط لا لشيء آخر فيقوم بضربي وضرب والده والصياح بصوت عالي دون ان اعرف ما الذي يجعله يقوم بهذا التصرف الغريب والذي بات يؤرقني طوال الليل.

مسؤولية عظمى

الطفل يولد كما ورد في الحديث الشريف على فطرة الإسلام الإنسانية السوية ولكن أبويه يكفرانه أو يهودانه أو يمجسانه " والأبوان يمثلان العنوان الأبرز لبيئة الطفل في البدايات الأولى لحياة المولود وعليهما تقع مسئولية عظيمة في التنشئة المثلى التي يتوقف عليها حياة ابنهما في قادم الأيام .

ويؤكد أخصائي علم النفس التربوي محمد عبدالله سليمان بان الطفل في سنوات عمره الأولى يكون بمثابة " العجينة " التي يمكن تشكيلها كيفما نشاء وتوجيهها إلى الطريقة التي نريد لذلك فهذه المرحلة المبكرة من العمر هي الأهم في التنشئة والتربية للأطفال.

ويضيف سليمان الذي اعد دراسة علمية في مجال علم النفس التربوي ونال بموجبها درجة الماجستير من جامعة سودانية بان النزعات العدوانية في سلوك الطفل تتنامى بصورة اكبر عندما يعيش الطفل في مرحلة مبكرة من عمره وسط بيئة عنيفة يسودها الصراع والعنف وخاصة المواجهات المسلحة وغالبا ما يصبح هذا الطفل في قادم الأيام وبسبب هذه البيئة غير السوية عنصرا خطيرا ومهددا لسلامة المجتمع وأمنه بل وحتى أفراد أسرته .

سلوك عدواني

الدكتورة عبير الصنعاني وهي أخصائية نفسية وطبيبة بمستشفى 48 قالت :العنف عند الأطفال هو عبارة عن سلوك عدواني انفعالي ينبع عن ضغوط جسدية داخلية بهدف إلحاق الضرر باي شخص آخر وهو أيضا رغبة الطفل في الاعتداء على الآخرين بأي نوع من الممارسات السيئة ضدهم .كما ان هناك العديد من العوامل التي تؤدي إلى نمو العنف عند الأطفال وزيادة سلوكهم العدواني ومنها عندما يعاني الطفل من التفكك الأسري ومن الحرمان العاطفي كأن يفقد الطفل أمه ويتعرض للمعاملة القاسية فيتولد عنده نوع من الحرمان والذي يتحول إلى سلوك عدواني وحب الانتقام من الجميع وأيضا الأب عندما يضرب ابنه في الشارع أمام أصدقائه وجيرانه فهذا العنف الذي يتلقاه الابن من ابيه يعيش بداخله ويصبح غير قادر على أعطاء الحب والحنان لأبنائه مستقبلا ففاقد الشيء لا يعطيه.

وتضيف الدكتورة عبير أن تعرض الأطفال للتحرش والضرب وسماع العبارات السيئة ومشاهدة أفلام العنف باستمرار والخلافات المستمرة بين الأبوين أمام الأطفال من شانها أن تولد العنف والإحباط لدى الصغار .

حلول ومعالجات

ووضحت الدكتورة عبير بعض المعالجات التي يمكن من خلالها معالجة هذا السلوك العدواني عند الأطفال ومن أهمها معرفة الأسباب الحقيقية وراء هذا السلوك العدواني ومعالجتها وعلى الأسر غرس مفاهيم الحب والتفاهم بين أطفالها وغرس المبادئ الإسلامية وحب الصغير واحترام الكبير وعلى الآباء أن لا ينتهجوا مبدأ العقاب والضرب والتهديد بكل كبيرة وصغيرة فلا بد من التربية السليمة والتوجيه السوي للأبناء وغرس القيم الحسنة في نفوسهم وعلى المعلم في المدرسة أن يكون له دور في توجيه النشء وتوجيه الأطفال الذين لهم نشاط زائد بممارسة الأنشطة الرياضية والمدرسية المختلفة.

وجه في الزحام

عائشة الطويلي

• يتحول القلم إلى ضجة, يطل من خلالها ألوان من المشاعر.. القيم .. الأفكار .. حتى النظريات لا تتأخر عن رسم كل تلك الصور ,يلتصق بها مداعبا .. شاكياً .. حائراً .. متمسكاً, وحين تتحول الدنيا بأكملها .. بحلوها و مرها .. إلى قلب ذلك الإنسان القائم, تصير الهزائم انتصارات, و تلتحم الأشواك بالورد ,و تهتز صورة الأشياء ,باقية أو باكية على حد سواء, المهم في الأمر أنه لازال يثير ضجةً إلى أبد الآبدين .

قبل أن يتفجر بداخلنا الإنسان, قبل أن يستريح منا النكد, قبل أن نسأل عن الوعود قبل أن تفاجأنا المشاهد, قبل من يغمرنا الغضب, قبل أن نبدأ شهوة الفوضى, قبل أن تغادرنا وحشة التهريم, قبل أين يبقى مالم يبق, قبل أن يكون الموت سيداً, قبل أن يسأل الليل على بيوت الغرباء, قبل أن يموت فينا الأمل, قبل أن تنحني كعبد يلام, قبل أن تبكي مآقي الزمن, قبل أن ينتهي العمر ندماً, قبل أن تقرر أين المفر؟!!

ثمة هناك وجه في الزحام, أضحى بعيداً نحو جنته, وحيداً صار في حل من التنظيم ..,

أدرت أن أتعلم لغة الحياة لأجل الحياة, أن أمحو جبيني من نظرة الحزن, أن أمسك بملهى يسليني و ينسيني, أن أضحك في وجه السأم والغروب, أن أقتحم جنة الفردوس أن أدوس أشواك الرعب, أن أغرق في بقعة ضوء, لا يراني أحد..ولا يحسدني أحد ولا يغدر بي أحد .. !!

الحرام بين و الحلال بين, فما معنى أن نستخير ونحن ملزمون منذ الأزل ؟ ما معنى أن نتجاهل ونحن نعي الفكرة ؟ ما معنى أن ننتظر ثم نغرق ؟ ما معنى أن نستمر ونحن نعجز ؟ ما معنى ذلك أيها القدر ؟؟؟؟

يخدعون العالم باسم الإسلام, ينظمون الرعب والموت والخراب, ينحدرون من أطراف السخط و يرهبون الأبرياء تحت مظلة الجهاد, يرتدون الضلالة و يرفعون لواء الفساد و الخوف يصغون لدسائس الغرباء الحانقين, نعرفهم ثقباً .. ثقباً, نرقبهم من برج القلعة....

الهزيمة لم يعد لها باب من زجاج, قابلها وجه لوجه وانظر هل ستصمد للحظات.. تنعطف يميناً أو يساراً؟

كن دائما واقفاً في وجه الريح, حتى لا تغرق في موج البحر ..!!

كن اقوى من ضعفك, واتكئ نحو شروقٍ لا يعرف سوى الخالق عزوجل...

كما تفكر تكون

حنان عوبل

• قبل أن تنطلق عليك أن تتحرّر من كلّ القيود والخلفيات المسبقة، وأن تترك الخوف الوهمي وكثرة الشّكوك، والتنصّل من الفِكَر السّلبية التي تولّد بدورها مشاعر سلبية، وأن تكنس كل الرّواسب العالقة والمخزّنة منذ أمد بعيد.

فالأصل في حياة الإنسان الإيجابية إنْ على مستوى التّفكير أو المشاعر أو السّلوك. فمن عنده فشل أو تعاسة أو خوف فليركّز على عكسه، وبعبارة أوضح أن يُقبل على ما يريد لا على ما لا يريد. وأنْ يغيّر طريقة تفكيره بكسر النّمط الدّائري الذي طالما سبّب لصاحبه إخفاقات وإحباطات بل وأمراض دون أن يشعر، ولذلك قيل: "غيّر أفكارك كي تغيّر مصيرك" فإذا فكّرت في الخير فسوف يتدفّق الخير، وإذا فكّرت في الشرّ فسوف ينتج الشرّ، فالإنسان هو: ما يفكّر فيه طوال النّهار، قال الشيخ الغزالي: "إنّ حياتنا من صنع أفكارنا". وعليه إذا نحن ساورتنا أفكار سعيدة كنّا سعداء، وإذا تملّكتنا أفكار شقيّة غدونا أشقياء، وإذا خامرتنا أفكار مزعجة تحوّلنا خائفين جبناء، وإذا تغلّبت علينا هواجس السّقم، والمرض، فالأغلب أن نبيت مرضى سقماء. وهكذا، إنّ أفكارنا هي التي تصنعنا واتّجاهنا الذّهني هو العامل الأوّل في تقرير مصيرنا

إنّ الطريق للخلاص من الظلمة هو النور، وطريقة التغلب على البرد بالحرارة، وطريقة التغلب على الأفكار السلبية باستبدالها بأفكار طيبة، أكّدْ على النية الطيبة تختفي النية السيئة.

والحلّ أن تفضفض وتخرج كلّ الوساوس والمشاعر السّلبية التي تملأ نفسك، وتضع نصب عينيك هدفا واحدا وهو: أن تتغلّب على نقائصك لترتقي في سلّم الكمال البشري وإلاّ فلا تحسّن. تخيّل نفسك سعيدا متألّقا رابط الجأش مُعافى وستكون كذلك، والعكس صحيح. فالسّعادة فكرة والشّقاوة فكرة وكلّ التّجارب النّاجحة بدأت بفكرة.

شاب يسرق مجوهرات والدته ويحاول قتل أخيه بمساعدة الشغالة

الأسرة /عادل بشر

• كثيرا ما يجهل بعض الآباء أن التمييز بين الأبناء في المعاملة وتفضيل بعضهم عن بعض يخلق العداوة بينهم وقد تتطور الامور إلى ما لا يحمد عقباه ..

وحول هذا الموضوع تدور قضيتنا اليوم وتتمثل في مأساة اسرة قام ابنها البكر بمحاولة قتل شقيقه الأصغر بسبب التدليل الزائد الذي يلقاه الاخير من والديه مقارنة بالأول الذي احس بالحرمان.. فإلى التفاصيل:

"عبدالله" هو الابن البكر بين اخوانه الآخرين وهو ابن لأحد تجار المنطقة ، حيث يمتلك والده محلا تجاريا كبيرا في المدينة وله فروع في مدن أخرى. وقد حظي عبدالله بالرعاية الكاملة من قبل والديه منذ أول يوم خرج فيه إلى الدنيا فكانت جميع طلباته مجابة مهما كانت ..لأنه باختصار شديد كان لا يزال الابن الوحيد لدى أسرته. وفي بضع سنوات تلت ولادة الابن البكر لم تنجب والدته ابناً آخر ثم انجبت بعد ذلك طفلة وتلاها بعد عام واحد طفل آخر..

في بداية الأمر لم يغير ظهور هؤلاء الأبناء الجدد شيئا في حياة شقيقهم البكر عبدالله الذي ظل متربعا قلبي والديه ولم يفكر لحظة واحدة أن يأتي يوم وينقلب فيه الحال ويصبح شقيقه الأصغر هو المدلل لدى والديه فمضت السنوات واحدة بعد الأخرى والأسرة في سعادة ومحبة ورخاء ولم يشعر الأبناء بأي نقص في حياتهم اذ أن جميع متطلبات العيش الرغيد متوفرة بكثرة لديهم عوضا عن أن عددهم ليس بالكثير الأمر الذي يمكن أن تتقل طلباتهم كاهل الأب ..فهم لا يتعدون الأبناء الثلاثة.

عندما بلغ "عبدالله" عامه التاسع عشر كان لايزال يدرس في الصف الثاني الاعدادي فيما كان شقيقه والذي يصغره بخمس سنوات يدرس في الصف الأول الاعدادي بسبب رسوب الأول المتكرر وتفوق الصغير ونجاحه بامتياز في مراحله الدراسية. في ذلك الوقت شعر الأب أن ابنه البكر خيب ظنه فيه فكل تصرفاته تدل على أنه لا يمكن الاعتماد عليه في شيء..

بالإضافة إلى فشله في التعليم. انخرط عبدالله في صفوف (المخزنين) وكان يدخل في شجار وخلاف مع والدته يوميا بشأن المبلغ الذي يطلبه لشراء (الولعة) وإذا ما رفضت والدته الخضوع لرغباته وامتنعت عن اعطائه المبلغ المالي يقوم عبدالله ببيع تليفونه الجوال أو رهنه لدى بائع القات وبعد ايام معدودة يحصل عبدالله على تليفون آخر من والده لكنه سرعان ما يدعي أنه أضاعه وهكذا حتى تطور الأمر إلى أن هدد والدته بأخذ قطع من اثاث المنزل الثمينة وبيعها في حال لم يحصل على قيمة القات.

في الجهة المقابلة كان شقيق وشقيقة عبدالله الأصغر منه على قدر عال من العقل والاتزان والتفوق في دراستهما واحترام والديهما وبهذه الاخلاق استطاعا السيطرة على الأب والأم والحصول بسهولة ويسر على كل ما يريدانه حتى على مستوى المعاملة في الكلام والحب والحنان وتبادل الحديث بين الصغيرين ووالدهما وسؤاله الدائم عن احوالهما واحتياجاتهما عكس الابن الاكبر عبدالله الذي اصبح والده يائسا منه فتجاهله ولم يعد يسأل عن احواله كما في السابق.

شعر "عبدالله" في السنوات الأخيرة أنه اصبح شبه منبوذ وغير محبوب من والده وهو يعلم أن ذلك نتيجة تصرفاته العشوائية وعدم احساسه بمسئوليته تجاه نفسه فضاق ذرعا من هذا التجاهل والإهمال وحَمّل شقيقه الأصغر مسؤلية ما يحدث له وزاد من ذلك أصدقاء السوء الذين كانوا يبثون السموم في اذن عبدالله ويحرضونه ضد شقيقه الأصغر الذي قالوا عنه أنه جاء ليسيطر على كل شيء.

استمرت الكرة الارضية في دورانها واستمر شرود عبدالله من أسرته وبقاؤه خارج المنزل برفقة اصدقائه حتى ساعات متأخرة من الليل وحين يعود لا يسأله احد اين كان طوال هذا الوقت وكان كل يوم يمر يزداد فيه كره الابن البكر لشقيقه الأصغر خاصة عندما يراه في جلسة مزاح ومرح مع والده وأصبح رفقاء السوء هم الملاذ الوحيد الذي يلجأ إليه عبدالله كل يوم ليبوح لهم بهمومه ومعاناته النفسية.

في احد الايام اجتمع الأصدقاء ومعهم عبدالله كعادتهم لمضغ القات إلى ما شاء الله تعالى من الليل وبينما كان عبدالله يشكو حاله ومعاناته مع والده وأسرته بشكل كامل ..أشّر اليهم برغبته في التخلص من شقيقه الأصغر المسبب لكل هذه المعاناة ..ولأن مفعول "القات" كان قد تلاعب بأفكارهم لم يعارضه احد من الأصدقاء على هذه الفكرة بل على العكس قاموا بتأييده والتفكير في خطة مناسبة للتخلص من الاخ الأصغر .. فتطوع احد الأصدقاء بتنفيذ العملية من خلال استئجار اصحاب سوابق للاعتداء على شقيق عبدالله والتخلص منه ويظهر الموضوع بأنه خلاف مع بلاطجة..ولكن عبدالله يعلم أن شقيقه نادر الخروج بمفرده من المنزل لذا كان من الصعب أن يوكل مهمة القضاء عليه إلى رفاقه فأشار هؤلاء عليه بدس السم القاتل له في الاكل وبذلك يستطيع التخلص منه بهدوء ودون أن يشك احد في أنه الفاعل وبعدها يخلو له الجو ويتصرف في ثروة والده كما يشاء.

نالت هذه الفكرة استحسان الاخ البكر وقرر بعد ايام تنفيذ العملية فجهز جرعة السم وتبقى اهم جزء في الخطة وهو وضع السم في الاكل وتقديمه لشقيقه ويعتبر هذا اصعب جزء في الخطة بأكملها خصوصا وان عبدالله لا يستطيع الدخول إلى المطبخ وقت الاكل لان والدته تكون هناك وكذلك الشغاله الإفريقية.

في الجانب الاخر كان عبدالله على علاقة سرية مع الشغالة الافريقية فاستغل هذه العلاقة لإقناع الشغالة بان تضع السم في الاكل لأخيه دون أن يعرف أحد.. الشغالة بدورها ارادت استغلال هذه العملية لتحقيق مكاسب اكبر فاشترطت على عبدالله أن يقوم بسرقة مجوهرات والدته وإعطائها إياها وهي بدورها تقوم بوضع السم في الاكل ومغادرة المنزل إلى غير رجعة.

وافق عبدالله على هذا الشرط خصوصا وانه في حال تم اكتشاف سبب موت شقيقه فان الاتهامات ستوجه مباشرة للشغالة التي بدورها تكون قد اختفت من المنزل والمدينة بشكل كامل..

في الليلة التي سبقت الحادثة استغل عبدالله ذهاب الأب والأم لزيارة جده المريض في المستشفى فتسلل إلى غرفة نومهما وفتح صندوق مجوهرات والدته وسرق ما بداخله وأعاد الصندوق إلى مكانه وكان شيئا لم يحدث ثم سلم المجوهرات وعلبة السم للشغالة.

في صباح اليوم التالي استيقظ الأبناء كعادتهم ووجدوا الشغالة قد اعدت طعام الفطور كل بحسب طلبه وغادرت المنزل بحجة أن اختها تعرضت لجلطة وهي في المستشفى.. بينما استمر عبدالله في النوم وكأن شيئا لن يحدث ..

لم تمر سوى لحظات حتى ارتفع صوت الأخ الأصغر ليوقظ جميع من في البيت وكان يتلوى من شدة الالم فتم اسعافه إلى المستشفى وبمعجزة الهية استطاع الاطباء انقاذ الابن من الموت واخبروا والده أن كمية السم كانت كبيرة مما يوحي بأن احدهم وضعها متعمدا في الاكل فاستغرب الأبوان من هذا الأمر ولم يخطر ببالهما أن يكون ابنهم البكر هو من يقف وراء محاولة قتل شقيقه الأصغر.. وبعد أن عاد الجميع إلى المنزل اكتشفت الام أن مجوهراتها مسروقة فقام الأب بإبلاغ الشرطة واتهام الشغالة، ولم تمض سوى يومين حتى تم القبض على الشغالة اثناء محاولتها الهرب إلى محافظة أخرى مع احد أبناء جنسها وخلال التحقيق معها اعترفت بأن عبدالله هو من سلمها المجوهرات وطلب منها وضع السم لاخيه .. فنزل هذا الخبر على الأب والام كالصاعقة ولم يتمالك الأب نفسه من الغضب وتوجه إلى البيت حاملا مسدسه بين يديه يريد قتل ابنه عبدالله ولكنه لم يجده في المنزل فذهب للبحث عنه عند اصدقائه ولكن الشرطة كانت قد وصلت قبل الأب إلى المنزل الذي يجتمع فيه عبدالله مع اصدقائه وقامت بأخذه والتحقيق معه قبل وضعه في السجن..فاعترف أنه اراد التخلص من شقيقه الذي قال بأنه كان سببا في الفُرقة الحاصلة بينه وبين والده.